المحاضرة 05: الكامل في اللغة والأدب للمبرد

1-التعريف بالمؤلف: هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المبرد، ولد بالبصرة نحو سنة "210هـ/825م"، واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك، ومما قيل: "سئل "المبرد": لم لقبت بهذا اللقب؟ فقال: كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة، فكرهت الذهاب إليه، فدخلت إلى "أبي حاتم السجستاني" فجاء رسول الوالي يطلبني، فقال لي "أبو حاتم": ادخل في هذا، يعني غلاف مزملة فارغا، فدخلت فيه وغطى رأسه، ثم خرج إلى الرسول وقال: ليس هو عندي، فقال: أخبرت أنه دخل إليك، فقال: ادخل للدار وفتشها، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفطن لغلاف المزملة، ثم خرج فجعل "أبو حاتم" يصفق وينادي على المزملة: المبرد المبرد، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به، وقيل إن الذي لقبه بهذا اللقب شيخه "أبو عثمان المازني"، وقيل غير ذلك.[1] وذكر في موضع آخر أنه لما صنف "المازني" كتاب "الألف واللام"، سأل المبرد عن دقيقه وعويصه، فأجابه بأحسن جواب، فقال له: قم فأنت المبرِّد – بكسر الراء-أي المثبت للحق، فغيره الكوفيون، وفتحوا الراء.[2]

-شيوخه: عاش في القرن الثالث الهجري أيْ التاسع الميلادي، وعاصر كثيرًا من خلفاء الدولة العباسية الذين اهتموا بالعلم والعلماء، وتلقى العلم على عدد كبير من أعلام عصره من علماء اللغة مثل: "ابن إسحاق الجرمي"، و"أبو عثمان المازني" الذي وصفه المبرد بأنّه كان أعلم الناس بالنحو بعد "سيبويه"، ثم وسع دائرة ثقافته لتشمل الأدب فكان يتردد على "الجاحظ"، حتى عُدّ من شيوخه، وأخذ عن "السجستاني والتوزي"، وكانت له صلات بشعراء عصره كـ"أبي تمام"، "البحتري"، "ابن الرومي"، "ابن المعتز" وغيرهم وحفظ الكثير من الأشعار، كما كان مُلمًّا بالعديد من العلوم البلاغية والنقدية؛ لغيرته الشديدة على قوميته العربية، مما دفعه إلى تأليف العديد من الكتب في اللغة وآدابها.

2-مصنفاته: منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل ونذكر منها: كتاب الكامل، وكتاب الروضة، والمقتضب، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الأنواء والأزمنة، وكتاب القوافي، وكتاب الخط والهجاء، وكتاب المدخل إلى كتاب سيبويه، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب قواعد الشعر، وكتاب معاني القرآن، احتجاج القراء وإعراب القرآن، الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه، ....[3]. وغيرها من المظان الحسان الوافرة العطاء والغزيرة الإفادة .

3-أهميته: الكامل في اللغة والأدب هو آخر ما ألفه "المبرّد" وهو أجل مؤلفاته قدرا وأعمها نفعا، وأكثرها شيوعا بين الناس، فهو أحد أركان الأدب الأربعة التي ذكرها "ابن خلدون" في مقدمته بقوله: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكتّاب لابن قتيبة، كتاب الكامل للمبرد، كتاب البيان

---

[1]-الحافظ جمال الدين أبو الفرج: كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تح: عبد العزيز راجي الصاعدي، مج/1، ط/1، 1993، ص ص: 391-392.

[2]-ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج/1، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط/1، 1993، ص: 2679.

[3]-المصدر نفسه، ص: 2684.

والتبيين للجاحظ، كتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتابع لها وفروع عنها"[4]. كما ذكر في قوله: "وعمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي كتابه الذي سماه «الكامل» وضمنه أخبارا وقصصا لا إسناد لكثير منها، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقهها ما يأتي مثله به لسعة علمه وقوة فهمه ولطيف فكرته، وصفاء قريحته، ومن جلي النحو والإعراب وغامضها ما يقل وجود من يسد فيه مسده[5]. يبدو بأنه كلام لا يخلو من انتقاد، ولكنه يشيد به وبمؤلفه. فكان الكامل في اللغة والأدب مرجعا مهما يكشف ثقافته الواسعة وخلفيّته المعرفية وذخيرته الفكرية، التي جعلت منه عالما فذا وبوأته مكانة عظيمة لتنوع مضمونه، مما ميزه عن باقي المتون الأخرى، كما يعد من أمتع كتب العربية، فهو يثقف النفس، ويهذب الروح، ويصقل العقل، ويوسع الأفق، وينمي في الإنسان ملكة حب المعرفة.[6]

4-وصفه: يقع في أربعة أجزاء، عدد صفحاتها نحو 1200 صفحة، صدر عن دار الفكر العربي في القاهرة، وتعود هذه الطبعة إلى أُصول أندلسية، كُتبت بخط أندلسي.[7] وقد تناول المبرد في كل جزء قضايا متعددة، كالآتي:

-الجزء الأول: احتوى حوالي 320 صفحة، بدأ المبرد فيه بباب وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم للأنصار مفصلًا في ذلك، وتضمنت الأبواب الأخرى الخطب التي ألقاها الصحابة، كما عمل على تثمين عيون الشعر العربي في العصر الجاهلي، صدر الإسلام، والعباسي.

-الجزء الثاني: ضم 243 صفحة تناول فيه مختارات من الشعر العربي، والشخصيات العربية والإسلامية، وقدمها ضمن سياقها التاريخي، كما تناول أقوال الحكماء، وعمل على تمحيصها.

-الجزء الثالث: اشتمل على 300 صفحة تطرق إلى أهم القضايا الأدبية والتاريخية في أبوابه مثل باب في أخبار "سعيد بن سلم الباهلي"، وباب بعض مما قالته العرب في ذم باهلة، وباب في مجلس قتيبة بن مسلم الباهلي، وطرائف من تشبيهات المحدثين، وتناول أقوال العرب التي تجتمع فيها حكم وطرائف من حُسن الكلام، وشخصية الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك، وتطرق إلى الفرق الدينية، كالخوارج.

-الجزء الرابع: تألف من 343 صفحة وهو الأخير، واهتم بفن الخطابة، مثل: خطبة لأعرابي بالبادية، خطبة لعمر بن عبد العزيز، باب خطبة لعتبة أيضا بمصر، باب خطبة لمعاوية بن أبي سفيان، والعديد من الأبواب التي ناقشت

---

[4]-عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج/1، ضبطه: خليل شحادة، راجعه: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2001، ص ص: 763-764.

[5]- أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني الجريري: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: إحسان عباس، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط/1، 1993، مقدمة الكتاب ص:13.

[6]-ينظر: مجموعة من المحاضرات والمؤلفات.

[7]-ينظر: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج/1، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط/3، القاهرة-مصر، 1997، ص: من 1 إلى 10.

أهم القضايا الأدبية، مثل: باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ، وباب في نبذ من كلام الحكماء في الموعظة، وتناول المرثيات في الشعر، مثل: مراثي الخنساء، ومرثية أعشى باهلة للمنتشر بن وهب.

5–منهجه:

–حدد قصده من التأليف ومنهجه في بداية مقدمته قائلا: «هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا...»[8] يظهر القول احتواء الكتاب على جوانب الأدب (الشعر، النثر بأمثاله وخطبه ورسائله وحكمه)، واللغة (النحو، العروض، البلاغة)، الأخبار، القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بالإضافة إلى اللمحات النقدية.

–مثال: يأتي بالنص مثلما جاء في أول أبوابه الكلام عن "قوله – صلى الله عليه وسلم – للأنصار: «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع»، فيأخذ في شرحه لغويا ونحويا، مع تفسير ألفاظه الغريبة أو التي تحتاج إلى تفسير، مستشهدا في ذلك بروائع من الشعر والنثر، إذ يلتفت إلى كلمة (الفزع)، فيشرحها ويبين عما تحمله من دلالات، مستشهدا بالشعر بما يساعده في تفسير قاعدة أو معنى غريب، كقوله:

كلنا إذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصّراخ له قرع الظنابيب**

وتلفته لفظة الظنابيب، فيهتم بشرحها ويستطرد متنقلا من معنى إلى آخر، ومن شاهد إلى غيره. فالفزع في كلام العرب على وجهين، الأول يراد به الذعر والآخر الاستنجاد، يقال: إذا أتانا مستغيث كانت إغاثته الجدّ في نصرته، يقال: قرع لذلك الأمر ظنبوبه إذا جد فيه ولم يفتر."[9] فإذا فرغ من ذلك قدم نصا آخر، كأن يكون خطبة أو رسالة مشهورة لأحد الخلفاء أو الحكام....

–وقد قسمه إلى أبواب جاعلا منه مزيج من المادة المتشعبة والمتنوعة والمختلفة، يجمع بين فنون جمة من الأدب وألوان من الثقافة العربية والأدبية والتاريخية والنحوية والأخبارية والقرآنية، مما جعله مرجعا هاما يؤكد على ثقافته الواسعة وخلفيته المعرفية وذخيرته الفكرية، فهو كتاب أدبيّ لغويّ شامل.

–ليس هناك ترتيب موضوعيّ للأبواب، ولا يختصّ كل باب بموضوع معين، بل يتنقل فيه من موضوع لآخر ويستطرد في موضوعاته، ليكون الاستطراد منهجًا واضحًا بقصد إراحة المتلقي وتجنب الملل.

6–مادته:

–احتوى على **مادة قرآنية غزيرة فسرها تفسيرا استمده من شواهد لغوية ونحوية**، بالإضافة إلى المادة المتمثلة في الأحاديث النبوية الصحيحة الإسناد.

---

[8]–ينظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج/1، ص:5.

[9]–ينظر: المصدر نفسه، ص: 7.

-ضم مجموعة من **أمثال العرب ذاكرا أصل المثل والمناسبة التي قيل فيها، وقد خصص لها بابا.**

-أكثر **من أخبار الحكماء** وفي مقدمتهم "الحسن البصري" و"أسماء بن خارجة" و"الأحنف بن قيس" وغيرهم، وقد تكرر ذلك في معظم صفحات الكتاب تحت عنوان نبذ من أخبار الحكماء.

-**اعتنى بالشعر والشعراء عناية كبيرة**، فأورد الكثير من أخبارهم ونماذج من أشعارهم. ومن أهم أغراض الشعر التي تطرق إليها: المدح والهجاء والعتاب والرثاء والفخر، وذكر بعض الشعراء أمثال "أبي نواس" و"أبي العتاهية" و"بشار بن برد".

-**ضم عددا من خطب العرب من عصور مختلفة** كخطبة "عمر بن عبد العزيز" و"عتبة بن أبي سفيان" وخطبة لـ"معاوية بن أبي سفيان" وغيرهم.

-**عرض مواضيع مهمة في البلاغة** ممثلة في **التشبيه**، وأفرد لذلك دراسة مفصلة، ذيلها بشواهد شعرية لشعراء مبرَّزين منهم: امرؤ القيس والنابغة وذو الرمة والشماخ وعلقمة بن عبدة وغيرهم كثير. كما تناول في هذا الجانب **الكناية وأقسامها، والمجاز وأنواعه، والاستعارة وألوانها، والالتفات والتجريد، وأفرد بابا آخر في الإيجاز والإطناب.**

- انتقل من **البلاغة إلى النحو**، فهو من كبار أئمة المدرسة البصرية فتطرق إلى موضوعات نحوية.

-**وفي الأخبار الأدبية والتاريخية** أفرد بابا مفصلا ذكر فيه أخبار الخوارج، حيث طغى ذلك بشكل كبير في الكتاب، كما أولى اهتماما بشخصية الحجاج وبعض الأحداث التي زامنت عصره، فهو مصدر أصيل لما أصاب الإسلام من فتن منذ مقتل الخليفة الثالث "عثمان" واشتعل الخلاف بين "علي" و"معاوية"، وموسوعة قيمة للأدب الذي تحدث عن الصراع من خطب ومنافرات وهجاء وقصص وشعر وأنساب من شاركوا في هذه الأحداث.

- ضمن مواده بعض الطرائف والنكت، متعمَّدا تنويع مادته، فجاء مختلفاً أُكلُه، وذلك لغاية التنشيط والتشويق، ودفعِ الملل والسآمة عن القارئ حتى لا يحس بالفتور، وهذه هي ميزة هذا النوع من التأليف.

-تعرض لقضايا اللفظ والمعنى، الجديد والقديم، السرقات الشعرية دون أن يسميها لكنه يورد البيت ثم يشير إلى من تناول نفس المعنى، مع ذكر من أجاد منهم ومن تخلّف، ومن ابتدع المعنى أو نقله عمن سبقوه.

-قدم آراء نقدية من خلال روايته الشعر، وتفسيره وتحليل جمله وتعليقه عليه بعبارات كشفت عن ذوقه الشخصي.

7-طبعاته: له طبعات محققة منها،

-طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، حققها "زكي مبارك"، وأتمها "أحمد محمد شاكر" ثم صنع فهارسها "سيد كيلاني."

-طبعة مؤسسة الرسالة-بيروت. بتحقيق "محمد الدالي."

-طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة حققها "محمد أبو الفضل إبراهيم."

-طبعة بتحقيق "عبد الحميد هنداوي".

7–قيمته: أُخذ عليه تعصبه للخوارج لكنه لم يدافع عنهم كطائفة ذات عقيدة بل اهتم بأدبهم لكونه أدبا صادقا. فهو مصدر مهم لدراسة أخبارهم إذ أورد عدد كبير من أخبارهم واستطرد في إيراد أشعارهم وخطبهم وذكر فرقهم وحروبهم وقوادهم في باب مستقل فقال: "وأخبار الخوارج كثيرة طويلة، وليس كتابنا هذا مفرد لهم، ولكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب، أو شعر مستطرف، أو كلام من خطبة معروفة مختارة"[10] وأتبع هذا الباب بعدة أبواب تحدث فيها عنهم بحديث طويل مفصّل فيه استطراد كبير، وقد يخرج إلى ذكر أمور أخرى ثم يعود إلى حديث الخوارج. واعتذر المبرد عن الإطالة في أخبارهم بعد أن انتهى من ذكرها فقال "أبو العباس": "وهذا الباب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج، ولكن ربما اتصل الشيء بالشيء، ويقترح المقترح ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب، ويصده عن سنته، ويزيله عن طريقه..." [11]

–تميز باعترافه بالخطأ إذا أدرك أنه أخطأ قائلا: "إن الاعتراف بالخطأ يمحو الذنب الذي قد يترتب على الوقوع في الأخطاء ونشره بين الناس"[12] واضعا مبدأ اعتراف العلماء بخطئهم.

8–أبرز الآراء والانتقادات: تعرض للعديد من الدراسات التي بينت قيمته ونقائصه كالآتي:

أراد لكتابه أن يكون مكتفيا بنفسه من خلال تقديم النصوص وتفسيرها متخذا اتجاها جديدا في عصره كما يعد من أوائل المؤلفات التي اهتمت بتحليل النصوص.

–لا يحس القارئ بمشاق النحو واللغة حين غطى عليها جمال الأدب.

–رصد القارئ تاريخ العرب في جاهليتهم وإسلامهم في حياتهم السياسية والثقافية والأدبية.

–يشتمل على كل ضروب الأدب.

– صعوبة اللغة في بعض الأبواب مما اضطر الكثير من الشراح إلى زيادة الهوامش، وشرح الأبواب بطريقة أسهل.

–حاجته إلى بعض التصويبات النحوية ذلك لاختلاف المدارس النحوية وتطورها. كونه من أمهات الكتب الأدبية.

---

[10]–ينظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج/3، ص:179.

[11]–ينظر: المصدر نفسه، ص:293.

[12]–ينظر: المصدر نفسه، ص: .